مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 15، عدد رقم:01، مارس 2026، صص: 43 - 56
تاريخ الاستلام(2025/11/20) تاريخ القبول (2026/02/24) تاريخ النشر (2026/03/30)

الفهم والتأويل عند هانس جورج غادامير
قراءة في المرجعيات والآليات

Understanding and Interpretation in Hans-Georg Gadamer: A Study of the Hermeneutical Foundations and Mechanisms

إيمان صباغ [1]
[1] جامعة الجزائر2 (الجزائر)، imane.sabbagh@univ-alger2.dz

ملخص:
تتناول هذه الدراسة مفهوم الفهم والتأويل عند هانس-جورج غادامير، مع التركيز على المرجعيات الفلسفية والآليات التي اعتمدها في التعامل مع النصوص الأدبية والفنية. وتنطلق الإشكالية من التساؤل حول كيفية تحقيق الفهم والتأويل للنصوص بطريقة تتجاوز المنهجية التقليدية، مع مراعاة التاريخ والثقافة واللغة ودور المتلقي في إنتاج المعنى. وتهدف الدراسة إلى الكشف عن كيفية تحويل التأويل إلى تجربة وجودية يشارك فيها المتلقي بفاعلية، بعيدًا عن الاكتفاء بالتفسير الظاهري للنص .وتبرز الدراسة الآليات الأساسية لغادامير، مثل فصل النص عن ذهنية المؤلف، والتركيز على عملية الفهم ذاتها، والحكم المسبق، والانصهار بين الأفقين التاريخي والحاضر، إضافة إلى الجدلية بين السؤال والجواب. وتخلص النتائج إلى أن التأويل، وفق غادامير، ليس مجرد تفسير للنصوص، بل هو نشاط دينامي يربط الإنسان بالتاريخ والثقافة واللغة، ويجعل النصوص فضاءات حيّة لإعادة إنتاج المعنى والمعرفة عبر الأجيال.

كلمات مفتاحية: الفهم؛ التأويل؛ انصهار الآفاق؛ الأحكام المسبقة؛ التاريخية؛ المتلقي؛ فعل القراءة

المؤلف المرسل: إيمان صباغ ، **الإيميل:** imane.sabbagh@univ-alger2.dz

Summary:

This study addresses the concept of understanding and interpretation in Hans-Georg Gadamer, focusing on the philosophical references and mechanisms he employed in engaging with literary and artistic texts. The central question arises from how to achieve understanding and interpretation of texts in a way that transcends traditional methodology, taking into account history, culture, language, and the role of the recipient in meaning-making. The study aims to reveal how interpretation can be transformed into an existential experience in which the recipient actively participates, moving beyond mere superficial interpretation of the text. It highlights Gadamer's key mechanisms, such as separating the text from the author's mindset, focusing on the process of understanding itself, preconceived judgments, and the fusion of historical and present horizons, in addition to the dialectic between question and answer. The findings conclude that, according to Gadamer, interpretation is not merely a commentary on texts but a dynamic activity that connects humans with history, culture, and language, making texts living spaces for the reproduction of meaning and knowledge across generations.

Keywords: Understanding; Interpretation; Fusion of Horizons; Preconceived Judgments; Historicity; Recipient; Act of Reading

1. مقدمة :

يُعدّ مبحث الفهم والتأويل أحد الركائز المعرفية التي أسهمت في إعادة تشكيل الحقول الفلسفية والإنسانية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، لما ينطوي عليه من ارتباط مباشر بآليات اشتغال الوعي الإنساني وممكنات انفتاحه على العالم والنصوص والتجارب التاريخية. وقد شهد هذا المبحث تحوّلًا نوعيًا مع انتقال الهرمينوطيقا من كونها تقنية لتفسير الخطابات الدينية والقانونية إلى كونها فلسفة شاملة للفهم، تُعنى بتحديد شروط إمكان المعرفة البشرية ضمن سياقاتها التاريخية والثقافية واللغوية. وفي هذا المسار يجد هانس جورج غادامير [1] (H.G. GADAMER)موقعه بوصفه أحد أبرز المنظّرين الذين أعادوا صياغة الهرمينوطيقا في صورتها الفلسفية الناضجة، كما تجلّى في عمله المرجعي *"الحقيقة والمنهج"* حيث تجاوز التأويل بوصفه منهجًا إلى فهمه بوصفه بنية أنطولوجية ملازمة للوجود الإنساني.

وتنبني معالم المشروع الغادامري على خلفية فلسفية معقّدة يتصدرها الإرث العميق لـ مارتن هايدغر[2](M. HEIDEGGER) ، الذي أسّس من خلال قراءته الأنطولوجية للفهم في *"الوجود والزمان"* تصورًا جذريًا نقل الهرمينوطيقا من مجال نظريات المعرفة إلى أفق الفلسفة الأولى. وقد استثمر غادامير هذا الإرث الهايدغري ليبلور رؤية تجعل الفهم نتاجًا لتفاعل

الدينامية التاريخية مع فعالية اللغة وشرط الانتماء، مع حفاظه على امتداداته الأولى في الهرمينوطيقا الكلاسيكية، ولا سيما لدى فريدريك شلايرماخر، الذي أسّس لمبدأ الطابع الإنساني للفهم وطابعه التداولي.

وانطلاقًا من هذا الأساس الفكري، يتجه هذا المقال إلى دراسة بنية الفهم والتأويل عند غادامير من زاويتين متكاملتين: الأولى تتعلق بالمرجعيات الفلسفية التي أسهمت في تشكيل مشروعه؛ والثانية تحلل الآليات الهرمينوطيقية التي اعتمدها في بلورة نظريته التأويلية. وتنبثق من هذه المقاربة إشكالية مركزية مفادها:

ما الأسس المرجعية التي انبنى عليها المشروع الهرمينوطيقي لدى هانس غادامير، وكيف تتحدد الآليات والمفاهيم التي صاغ من خلالها رؤيته للفهم والتأويل ضمن امتداد الهرمينوطيقا الفلسفية؟

تسعى الدراسة للإجابة عن هذه الإشكالية من خلال جملة من الأهداف، أبرزها:

1.تحليل الخلفيات الفلسفية والمعرفية التي أسهمت في تشكّل الهرمينوطيقا الغادامرية.

2. الكشف عن الأثر الحاسم لفلسفة هيدغر في إعادة بناء مفهوم الفهم عند غادامير.

3.توضيح الآليات المفهومية التي اعتمدها غادامير، ولا سيما اللغة، التاريخ، الوعي التاريخي، وانصهار الآفاق.

وتعتمد هذه الدراسة منهجًا تحليليًا–مفاهيميًا يستند إلى تفكيك وحدات الخطاب الغادامري وتبيّن شبكة مفاهيمه التأويلية، إلى جانب ذلك تتبع التحولات الكبرى التي مرّت بها الهرمينوطيقا من شلايرماخر إلى هيدغر، وصولًا إلى غادامير، بهدف إضاءة الأسس التي انبنى عليها هذا المشروع الفلسفي وإبراز خصوصيته ضمن الحقول الهرمينوطيقية المعاصرة.

2. المرجعيات الفلسفية للفهم والتأويل عند هانس جورج غادامير

1.2 فلسفة هيدغر وأثرها:

في إطار استيعاب الإسهامات الفلسفية لهيدجر، يرى هانز-جورج غادامير أن الهرمينوطيقا تمثل نظرية عامة للفهم والتأويل تتجاوز حدود العلوم الطبيعية والإنسانية لتشمل التجربة الإنسانية الشاملة .فعملية الفهم، بحسب غادامير، ليست مجرد تفسير للنصوص أو الظواهر، بل هي ظاهرة وجودية متجذرة في التاريخ والثقافة واللغة، إذ يتشكل

كل فهم ضمن أفق تاريخي ومعرفي محدد، يعكس العلاقة بين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه.

مثلّت فلسفة هيدجر، وخصوصاً ما عرضه في كتابه *"الوجود والزمان"*، نقطة تحول جذري في الفينومينولوجيا، حيث انتقلت الهرمينوطيقا من كونها »ابستيمولوجيا للتأويل«، كما عند شلايرماخر وديلتاي، إلى أفق أنطولوجي للفهم .وبمقتضى هذا التحول، لم يعد السؤال عن المنهج مجرد وسيلة للوصول إلى المعرفة، بل أصبح السؤال عن الكينونة، أي كيفية وجود الكائن الذي لا يمكن أن يكون إلا من خلال الفهم.

في هذا السياق، يتحول الفهم من كونه مجرد نمط للمعرفة "un mode de connaissance") إلى نمط للوجود ("un mode d'être")[3]، ما يبرز أن الفهم والتأويل أصبحا ظواهر متجذرة في التجربة الإنسانية الكلية .ويؤكد هيدجر، وفق رؤية غادامير، على أهمية التاريخية (historicité) ومفهوم الوضع أو المقام(situation) ، الذي يحدد موقع الإنسان في العالم باعتباره كائناً «قذف به في العالم«، ما يعكس العلاقة الجوهرية بين الإنسان والوجود ويقدّم هيدجر صياغة دقيقة للفهم الفينومينولوجي حين يقول: "إنّ السؤال الحقيقي ليس أن نعرف كيف نفهم الوجود، وإنما كيف يكون الفهم هو الوجود"[4].

وبناءً على هذا المنظور، يصبح كل فهم مشروعاً مفتوحاً لفهم الذات والعالم معاً، حيث لا ينفصل إدراك الإنسان عن السياق الوجودي الذي يعيشه. وقد أسس هيدجر الهرمينوطيقا على أساس فلسفي وجودي، مؤكدًا أن حقيقة الوجود تتجاوز الوعي الذاتي وتعلو عليه، لأن وعي الإنسان الذاتي تاريخي ويحدّه الزمان والمكان، بينما الحقيقة الوجودية تتجاوز هذه القيود لتصبح عملية الفهم مستمرة ومتجددة، ضمن إطار **الظاهراتية (phénoménologie)[5].

ويتفق غادامير وهيدجر في الرؤية العامة لفهم النص، إذ يرى كل منهما أن فهم النص الأدبي لا يقتصر على فهم تجربة المؤلف، بل يشمل فهم تجربة الوجود التي تكشف عن ذاتها من خلال الدوال النص[6].

2.2 العودة إلى العلوم الإنسانية

سعى غادامير من خلال ذلك إلى إعادة الوصل مع العلوم الإنسانية وتعميق النظر في قضاياها الابستيمولوجية من منظور أنطولوجي .ويؤكد محمد شوقي الزين أن "عودة غادامير إلى العلوم الإنسانية هي مساءلة نقدية لأسس ومبادئ هذه العلوم بالكشف عن تناهيها الخاص"[7]. وفي هذا الإطار، فإن المتلقي عند خوضه لعبة النص لا يبدأ من فراغ معرفي، بل يستعين بـ أفكاره المسبقة ويدمجها مع النص ليكشف ما يحيط به من وقائع وتجارب. ومن خلال هذا التفاعل، يقوم المتلقي بإعادة بناء النص ومعناه، وهو ما أكده غادامير في اهتمامه بمسألة الفهم الذاتي وارتباطه العميق بالخبرة الوجودية للإنسان.

رغم تأثر غادامير بهيدغر، فقد خالفه في تجاوز المنظور الابستيمولوجي ليؤكد أن الفهم يتضمن أبعادًا وجودية وثقافية وتاريخية، لا يقتصر على المعرفة المجردة. وبهذا يصبح المتلقي مشاركًا فاعلًا في التفاعل مع النصوص وإعادة بناء المعنى وفق خبرته الوجودية والثقافية.

3. آليات الفهم والتأويل عند هانس-جورج غادامير

تقوم الهرمينوطيقا الفلسفية عند غادامير على تصور شامل للفهم بوصفه حدثًا وجوديًا ولغويًا يتجاوز الحدود المنهجية التقليدية. فالتأويل لا يتحقق من خلال تطبيق قواعد ثابتة أو خطوات تقنية، بل عبر جملة من الآليات التي تجعل الفهم ممكنًا، وتحوّله إلى تجربة حوارية تُشارك فيها الذات والنص والتاريخ في آن معًا. يرى بول ريكور أن المشروع الفلسفي لغادامير "يكشف عن تأليف بين أنواع الهرمينوطيقا، من الخاصة إلى العامة، مروراً من ابستيمولوجيا علوم الفكر إلى الأنطولوجيا"[8]. ويعبّر مفهوم التجربة التأويلية عن هذا الطابع التأليفي، إذ تتوزع هذه التجربة في فلسفة غادامير على ثلاث دوائر متكاملة :دائرة جمالية، ودائرة تاريخية، ودائرة لغوية.

ومن أبرز هذه الآليات:

1.3 الفهم بوصفه نمطًا للوجود:

ينطلق غادامير في كتابه *"الحقيقة والمنهج"* من اعتماد مفهوم الهرمينوطيقا كما تشكل في الأفق الفلسفي الهيدجري، معتمداً بذلك على المعنى الأنطولوجي للفهم .فهو يرى أن: "الفهم ليس نمطاً لسلوك ذاتي من بين أنماط أخرى، وإنما هو نمط وجود الدزاين ذاته. وبهذا المعنى، يُستعمل مفهوم الهرمينوطيقا للإشارة إلى المقولة الأساسية للوجود التي تشكله من حيث

تناهيه وتاريخه، وتحتضن بالتالي مجموع تجربة الإنسان في العالم"[9]. وبناءً على هذا الأساس، يوضح غادامير طبيعة مشروعه الهرمينوطيقي وهدفه، إذ يسعى إلى بيان العنصر الجامع المشترك بين كل أنماط الفهم، وإبراز أن الفهم لم يكن قط مجرد سلوك ذاتي تجاه موضوع مفترض، بل هو ينتمي إلى الوجود ذاته، ما هو قابل للفهم[10].

2.3 فصل النص عن المؤلف والتركيز على عملية الفهم:

يسعى غادامير إلى التأكيد على إجراءين جوهريين في عملية الفهم والتأويل. الإجراء الأول يتمثل في تخليص الفهم من الطابع النفسي الذي وسمتها به المدرسة الرومانسية، ممثلةً في ديلتاي وشلايرماخر، والذين اعتبروا أن الفهم يرتبط بشكل مباشر بعقلية المؤلف ومزاجه وخواطره الذاتية. ويؤكد غادامير أن النص لا ينبغي أن يُقرأ كامتداد لروح المؤلف أو كمرآة لعصره وحده، بل يجب فصل النص عن الذهنية الفردية للكاتب والظروف التاريخية التي نشأ فيها، لإتاحة الفرصة لفهمه على نحو أعمق وأكثر شمولية[11]. أما الإجراء الثاني، فيتمثل في تحويل الاهتمام إلى عملية الفهم ذاتها، لا إلى نتائجها أو معطياتها الظاهرة، مع التركيز على البُعد التاريخي والتجريبي للفهم .فالفهم ليس نشاطًا لحظيًا أو مجرد تفسير مؤقت للنص، بل هو تجربة دينامية تتفاعل فيها الذات مع النص في أفق تاريخي معين، ما يجعل عملية التأويل مستمرة ومتجددة، ويمنح النص القدرة على إعادة إنتاج المعنى في سياقات متعددة.

وبهذا التصور، تتجاوز الهرمينوطيقا عند غادامير المناهج التقليدية للفهم "الموضوعي"، كما كانت الحال في هرمنوطيقا شلايرماخر وديلتاي، التي ركزت على صياغة قواعد وإجراءات للتأويل بهدف الوصول إلى تفسير محدد للنصوص. فبدلاً من اعتبار التأويل مجرد تطبيق منهجي، يرى غادامير أن الهرمينوطيقا أصبحت أفقًا فلسفيًا أنطولوجيًا، يسعى إلى كشف شروط إمكان الفهم بصفة عامة، وهو ما يعيد طرح الأسئلة الجوهرية حول الإنسان وطبيعته المعرفية: كيف يتحقق الفهم؟ كيف يكون؟ وكيف يُعد جزءًا من السمات الأساسية للإنسان بوصفه كائناً يسعى إلى المعنى؟[12].

من هذا المنطلق، تصبح مفهومات المنهج والموضوعية قابلة للمساءلة النقدية، إذ لم يعد الهدف إيجاد طريقة ثابتة للتأويل، بل فهم الفهم نفسه كظاهرة وجودية .فالهرمينوطيقا بهذا المعنى لا تكتفي بتفسير النصوص، بل تدرس الظروف والشروط التي تجعل الفهم ممكنًا،

مع الاعتراف بأن كل فهم جديد هو استمرارية للفهم السابق، ولكنه أيضًا فرصة لإعادة بناء المعنى وتوسيع أفق الإدراك البشري.

3.3 الفهم كنمط وجودي:

الفهم عند غادامير ليس مجرد اكتساب معرفة، بل تجربة وجودية متجذرة في التاريخ والثقافة واللغة، حيث يصبح النص فضاءً حيًا للتفاعل بين المتلقي والتجربة التاريخية والثقافية للنص. ويفرّق غادامير بين شكلين من الفهم:

فهم مضمون الحقيقة :أي القدرة على الإحاطة بحقيقة الشيء ذاته، وفهمه كما هو موجود بشكل مستقل عن العوامل الخارجية.

فهم المقاصد :أي السعي لمعرفة الظروف النفسية والتاريخية والذاتية التي أدت إلى إقرار شيء ما أو القيام بفعل محدد.

ويعتبر غادامير أن الفهم العميق يرتبط أساسًا بالنوع الأول، أي الفهم الأساسي للحقيقة، بينما يلجأ إلى فهم المقاصد عند العجز عن إدراك هذه الحقيقة[13] .وهذا التأكيد يوضح أن الهدف الأساسي للهرمينوطيقا عنده ليس مجرد تفسير الظروف أو السلوكيات، بل كشف شروط إمكان الفهم نفسها وفهم الإنسان في علاقته بالمعنى والحقيقة. ويرتبط هذا المنظور أيضًا بتصوره للمعنى في النصوص. فحين يتم فهم نص ما، لا يمكن نسب المعنى إلى القارئ أو المؤلف وحده، إذ إن النص يصبح فضاءً للغة مشتركة، تتجاوز الانتماء الفردي لتكون طريقة جماعية للنظر إلى موضوع محدد .ويقول غادامير في هذا الصدد":الحقيقة التي يكشف عنها الفهم هي مشاركة وليست امتلاكًا، والمعنى نتاج التعامل مع الشيء ذاته، والإقرار بحقيقة الشيء في ذاته، ممّا يفتح الحوار كمشاركة مع الآخر"[14]. وبذلك، يتحول النص من كونه مجرد موضوع معرفي إلى فضاء حي للفهم والمشاركة في الكشف عن الحقيقة، حيث تتفاعل فيه الخبرة التاريخية واللغة والوجود الإنساني .ويتيح هذا التصور للهرمينوطيقا أن تعمل كأداة فلسفية أنطولوجية لفهم الإنسان والعالم معًا، تتجاوز حدود المنهج التقليدي وتعيد النظر في ماهية الفهم، وطبيعة المعنى، ودور التاريخ واللغة في تشكيله، لتصبح بذلك تجربة تفاعلية مشتركة بين النص والمتلقي، تمكن من إعادة بناء المعنى وتوسيع أفق الإدراك البشري.

.4.3 مفهوم اللعب(Le jeu)

استعار غادامير مفهوم اللعب(*le jeu*) ، وبيّن التماثل بين فعل اللعب وفعل قراءة النصوص، فكل منهما يضع المشاركين في إطار محدد يخضع لقوانينه، سواء أكان اللاعب يمارس اللعبة أم المتلقي يتفاعل مع النصوص. ويقول غادامير في هذا السياق: "إنّ تجربة الوجود الجمالية تنكشف لنا مثل لعب وتمثيل"[16]. ويؤكد غادامير أن العمل الفني أو النص ليس مجرد امتداد لإرادة المبدع أو انعكاسًا لتجربته الشخصية، بل هو وسيط مستقل يمتلك ديناميات الداخلية وقوانينه الخاصة .وحين يضع المبدع أفكاره ونوازعه السابقة في هذا الفضاء، فإنها تصبح جزءًا من عملية اللعب الإبداعية، حيث تتحول تجربته الشخصية إلى وسيط يمكن للمتلقي التعامل معه بحرية ضمن حدود النص أو العمل الفني نفسه.

وفي هذا السياق، يشير نصر حامد أبو زيد إلى أن: "دور المبدع في العمل الفني يشبه دور اللاعب في اللعب. يبدأ بمحاولة تشكيل تجربته الوجودية، ولكن هذه التجربة تستقل – في تشكلها – عن ذاتية المبدع، لتتحول إلى وسيط له دينامياته وقوانينه الداخلية. هذا الوسيط – سواء كان شكلًا فنيًا أو لعبة – يجعل عملية التلقي ممكنة. فالعمل الفني، مثل اللعبة، يبدأ من المبدع (أو اللاعب) وينتهي إلى المتلقي (أو المتفرج) من خلال هذا الوسيط، لكنه يتغير من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر وفقًا لتغير أفق التلقي وتجارب المتلقين"[15].

ويؤدي هذا التصور إلى اعتبار النصوص والأعمال الفنية أدوات فلسفية أنطولوجية، قادرة على كشف العلاقة بين الإنسان والعالم، وعلى توسيع أفق الفهم والتأويل ليشمل تجربة الإنسان التاريخية والجمالية، وليس مجرد تطبيق منهجي لمعطيات موضوعية. فالنص، مثل اللعبة، يملك استقلاله، ويدعو المتلقي إلى المشاركة الفعالة في الكشف عن الحقيقة والمعنى والجمال، مما يجعل التلقي عملية ديناميكية مستمرة، ومتجددة عبر الأجيال، ومتفاعلة مع كل جديد في السياق التاريخي والثقافي للمتلقي.

وفي هذا السياق، تتجلى أهمية مفهوم التمثيل (*representation*) وعلاقته بمفهوم المحاكاة الأرسطي، غير أن غادامير يرفض النظر إلى التمثيل باعتباره انعكاسًا مرآويًا للواقع . فالتّمثيل لا يكتفي بمحاكاة الواقع، بل يسعى إلى إبراز حقيقة الواقع نفسها، كما يؤكد غادامير":إنّ الفن هو الذي يصنع من هذا الواقع حقيقته"[16].

ويستند هذا التصور إلى أن الكتب التي تُقرأ، والمسرحيات التي تُعرض، واللوحات التي تُنظر إليها، تمارس نفوذًا على الفرد بحيث تصل التجربة الفنية به إلى مستوى يجعل حياته ووعيه موضع تساؤل ومراجعة .فالأثر الفني في نظر غادامير ليس مجرد متعة جمالية شكلية، بل هو نشاط معرفي وإبداعي يختزن معنى وحقيقة .وعندما يتفاعل القارئ أو المتلقي مع العمل الفني وعالمه، يتحقق لديه فهم أعمق لذاته ولوجوده، بما يجعل الفن فعلًا إبداعيًا منخرطًا في التاريخ ومرتبطًا بالناس.

ويشير غادامير إلى أن الأثر الفني لا يكتفي بالوجود كشيء مستقل، بل يعمل ك جسر تفاعلي بين المبدع وجمهوره، حيث يتفاعل كلاهما مع العمل الفني ويتقاسمان عملية صناعة المعنى فيه. ومن هذا المنطلق، تصبح قراءة العمل الفني عملية إعادة إنتاج وإعادة خلق، إذ يتجاوز القارئ أو المتلقي الدور التقليدي للمستقبل السلبي، ليصبح التلقي نفسه فعلًا تأويليًا، يُمكّن الفرد من إعادة اكتشاف المعنى والحقيقة في التجربة الإنسانية والجمالية. وبهذا المعنى، يصبح الفن عند غادامير فضاءً حيويًا للتأمل، والإبداع، والفهم التاريخي والوجودي، لا مجرد وسيلة للمتعة البصرية أو السمعية، بل أداة لفهم الذات والعالم عبر التفاعل مع الماضي والحاضر، ومن خلال المشاركة في إنتاج المعنى الجمالي والمعرفي.

5.3 الحكم المسبق:

يعتبر مفهوم "الحكم المسبق(*prejugé*) "، إلى جانب مفهوم "الحقيقة"، من المفاهيم الجوهرية في النظرية الهرمينوطيقية لغادامير، إذ يشكل أساسًا لفهم عملية التأويل وتحديد شروط إمكاناتها. فالحكم المسبق، وفق غادامير، لا ينبغي أن يُفهم على أنه مجرد تحيز سلبي أو قبلي، بل هو التهيئة التاريخية والمعرفية للفهم(*le conditionnement historique*) ، التي تمكّن الإنسان من التفاعل مع الماضي والحاضر بطريقة هادفة وفعّالة[17]فالفهم، من هذا المنظور، ليس فعلًا انعكاسيًا منفصلًا عن التاريخ أو التقاليد، بل هو فعل منغرس في سياق تاريخي وثقافي مستمر، حيث يظل الإنسان دائمًا مرتبطًا بأفقه الزمني الراهن أثناء محاولته استعادة الماضي أو التعامل مع النصوص التاريخية.

ويشير غادامير إلى أن الذي يحسن قراءة ما نقل إلينا من الماضي بواسطة الكتابة أو أي وثائق تاريخية، لا يكتفي بالاطلاع على النصوص فحسب، بل يحقق ما يمكن تسميته

بالحضور الفعلي لذلك الماضي .بمعنى أن الفهم الهرمينوطيقي يعني الاندماج في تجربة التاريخ واستحضار عناصره ضمن الأفق الراهن للمؤول، مع إدراك أن عملية الفهم لا يمكن أن تكون محايدة تمامًا، لأنها تتشكل دائمًا عبر تقاليد متوارثة وخبرة سابقة.

ويرتبط مفهوم الحكم المسبق ارتباطًا وثيقًا بالاكتشاف الهيدجري لـ الاستباقية في البنية الفهمية(*structure d'anticipation de compréhension*) ، إذ يوضح أن كل مؤول يدخل النص وهو مزود بمشروع مسبق للفهم، حيث أن المعنى الأول الذي يلتقطه في النص يستبق فهم النص بأكمله .فالتأويل ليس عملية اكتشاف محايد، بل هو تفاعل جدلي بين ما هو موجود في النص وما يحمله المؤول من خبرات وتوقعات سابقة .ويشرح غادامير ذلك بقوله: "إنّ أي شخص يريد فهم نص ما إنما له دائمًا مشروع. فمنذ أن يرتسم معنى أول في النص، يستبق المؤول معنى للنص كله، وبدوره فهذا المعنى الأول لا يرتسم إلاّ لأننا قرأنا سابقًا النص موجهين بانتظار معنى محدّد. ففي إطار إعداد هذا المشروع المسبق يتم فهم ما يعرض للقراءة"[18]

6.3 الجدلية بين السؤال والجواب:

يولي غادامير أهمية كبيرة للجدلية بين السؤال والجواب، معتبرًا إياها طابعًا أساسيًا للتجربة الهرمينوطيقية .فكل نص تاريخي أو تراثي، باعتباره موضوع تأويل، يطرح سؤالًا على المؤول، وفهم النص يعني فهم هذا السؤال والسعي لفك شفراته ضمن السياق الذي أتى منه[19]يذهب غادامير إلى القول:

"العلاقة الجدلية بين السؤال والجواب هي التي تعطي للتجربة الهرمينوطيقية بعدها الحقيقي.[20]" يجمع غادامير بين الحكم المسبق والحقيقة والسؤال والجواب ليؤسس لمفهوم الفهم الهرمينوطيقي كممارسة ديناميكية، متجذرة في التاريخ والثقافة، ومتفاعلة مع النصوص والتقاليد، وقادرة على توليد معنى متجدد عبر الأجيال، مؤكدًا بذلك الطابع الأنطولوجي للفهم وليس مجرد المنهجية الموضوعية أو العلمية التقليدية.

7.3 انصهار الآفاق:

يرى غادامير أن عملية الفهم ليست مجرد نشاط معرفي محدود بالقراءة أو الإدراك السطحي للنصوص، بل هي عملية ديناميكية معقدة تهدف إلى إزالة الحواجز بين الماضي والحاضر، أي ما يُعرف بـ الفهم التاريخي .فالفهم التاريخي عنده يعني القدرة على التفاعل مع

الماضي ضمن سياق الحاضر، بحيث يتمكن المؤول من استحضار الماضي بفعالية وإدراكه كجزء حي من تجربته الراهنة .ومن هنا يأتي مفهوم انصهار الآفاق(*fusion des horizons*) ، الذي يعبّر عن الاندماج الحيوي بين أفق المؤول، المرتبط بوضعه التاريخي والثقافي الحالي، وأفق الماضي الذي يتجلى في النصوص التراثية وأسئلتها[21]"ويؤكد غادامير أن الفهم ليس عملية انعكاسية محايدة يمكن فصلها عن التاريخ أو التقاليد، بل هو فعل متجذر في سياق تاريخي وثقافي محدد،

أوضح بول ريكور أصالة وجدّة مفهوم انصهار الآفاق الذي قدّمه غادامير، معتبرًا أن هذا المفهوم يتيح إقامة حوار معرفي حي بين وعيين مختلفين في موقعهما الزمني والثقافي[22]الفهم ليس عملية فردية جامدة، ولا يحدث في أفق واحد منغلق، بل هو نشاط جدلي يتوسط بين أفق المؤول الراهن المرتبط بوضعه التاريخي والثقافي، وأفق النص أو الماضي الذي يحمل خبراته وأسئلته الخاصة .ومن ثم، تصبح العملية الهرمينوطيقية مساحة لتفعيل الذات المؤولة، التي لا تكتفي بتلقي النصوص بل تشارك بفاعلية في إنتاج المعنى وإعادة خلقه ضمن سياقها الخاص.

إن التأكيد على دور الفاعل في إنتاج المعنى يعكس رؤية غادامير التي تجعل النصوص ظواهر حية وديناميكية، تتجاوز كونها مجرد معطيات جامدة أو رسائل مغلقة. فكل قراءة للنص تمثل إخراجه من حالة الكمون إلى حالة الراهنية والإثبات الوجودي، بحيث يصبح النص نواة لدلالات متعددة، تتحدد وفق خبرات القراء، خلفياتهم الثقافية، وأفقهم التاريخي الراهن .وهذا ما يفتح المجال لتأويلات متعددة لا تكتفي بتكرار المعنى الظاهري، بل تمنح النص القدرة على إعادة إنتاج ذاته في كل قراءة جديدة.

4. خاتمة:

ختامًا، حاول هذا البحث الكشف عن البنية الهرمينوطيقية في فلسفة هانس جورج غادامير من خلال تتبع مرجعياتها الفلسفية، ولا سيما التحول الأنطولوجي الذي أحدثه مارتن هيدغر في فهم الفهم بوصفه نمطًا للوجود. وقد بيّن التحليل أن غادامير أعاد بناء الهرمينوطيقا بما يجعلها نظرية للفهم الإنساني في شموليته، متجاوزًا كل مقاربات التفسير النفسي أو المنهجية الصارمة التي ميّزت الهرمينوطيقا الكلاسيكية. كما أبرز البحث أن الآليات

الأساسية التي اعتمدها غادامير—مثل الحكم المسبق، والجدلية بين السؤال والجواب، وفصل النص عن المؤلف، وانصهار الآفاق، ومفهوم اللعب—قد أسهمت في تحويل التأويل إلى تجربة وجودية ولغوية تُفَعِّل الحوار بين الذات والتاريخ والنص.

وتؤكد هذه النتائج أن الفهم، وفق غادامير، ليس عملية تقنية أو منهجية، بل فعل تاريخي حيّ، يتجدد باستمرار عبر تفاعل القرّاء مع النصوص، ويتيح إمكانات متجددة لإنتاج المعنى. ومن ثمّ يغدو التأويل ممارسة فلسفية تُعيد ربط الإنسان بعالمه وتاريخه وثقافته، وتمنح النصوص قدرتها على الاستمرار بوصفها فضاءات مفتوحة لإعادة بناء المعرفة والمعنى عبر الأجيال.

إنّ هذا التصور يجعل الهرمينوطيقا الغادامرية إحدى أهم المساهمات في الفكر الفلسفي المعاصر، لما تقدمه من رؤية عميقة لطبيعة الفهم وشروط إمكانه، ولما تتيحه من إمكانات خصبة للحوار بين الماضي والحاضر، وبين الإنسان ونصوصه وتراثه.

5. الإحالات والهوامش:

[1] هانس جورج جادامير (HANS GEORG GADAMER) فيلسوف ألماني ولد سنة 1900 بماربورغ Marbourg، درس الفلسفة في مناطق متعددة، تأثر بالفلسفة الفينومينولوجية، درس بعمق الفكر الفلسفي الإغريقي، من أبرز مؤلفاته: الحقيقة والمنهج(1960)، فن الفهم والهرمينوطيقا الفلسفية.

[2] مارتن هايدجر martin HEIDGGER (1889-1972) فيلسوف ألماني، صاحب كتاب "الوجود والزمان" درس على يد **هوسرل رغم الحركة** الفينومينولوجيا.

[3] Voir, PAUL RICOEUR, le conflit des interprétation: Essais d'herméneutique. Paris : Éditions du Seuil, 1969.s, p : 10

[4] Voir, GEORGIA WARNKE, gadamer herméneutique, tradition et raison, Bruxelles, 1941. p: 58

[5] المنهج الظاهري يقوم على أساس ترك الأشياء تتجلى وتظهر دون فرض مقولاتنا عليها، لسنا نحن الذي نشير للأشياء

أو ندركها، بل الأشياء تُفصح عن نفسها بنفسها. وبذلك نقول إنّ هذا المنهج يدرس الظواهر من حيث هي "تجارب معيشة" هذه التجارب لا تقبل الرهان بل الإيضاح والكشف.

[6] علي حرب، التأويل والحقيقة، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، ط2: 1995، ص:23

[7] هانس جورج غادامير، فلسفة التأويل (الأصول. المبادئ. الأهداف)، تر محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، لبنان ط2، 2006، ص:14

[8] Paul RICOEUR *Du texte à l'action : Essais d'herméneutique II.* Paris : Éditions du Seuil, 1986., p : 107 .

[9] H. G.GADAMER, , vérité et méthode, les grandes lignes d'une Herméneutique philosophique, éd du *seuil*, paris 1967, p : 10

[10] H. G.*GADAMER*, vérité et méthode, op. Cit, p : 12

[11] عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، لبنان الجزائر، ط1: 2007، ص:36

[12]G.GADAMER, vérité et méthode, op. Cit, p :14

[13] GEORGIA *WARNKE*, gadamer herméneutique, op.cit, p: 22-23

[14] ينظر، هانس جورج غادامير، فلسفة التأويل، (المرجع سابق)، ص:32

[15] نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط6: 2001، ص41.

[16] H. G.GADAMER, vérité et méthode, op. Cit, p : 75

[17] ibid, p : 93

[18] اعتمدنا عبارة "الماقبلية" أيضا لأنها تؤدي الدلالة المقصودة في المصطلح عند "هيدجر" باعتبار أن الفهم يتحقّق عبر تراكمات من الأحكام المسبقة والمعارف والافتراضات الكائنة في التاريخ والتراث وتستدعي ليبني عليها الإنسان عبر محاورتها ومساءلتها فهمه للوجود.

[19] Ibid.,p : 93

[20] H. G.GADAMER, vérité et méthode, op. Cit, p : 216

[21] Voir, j.GRONDIN, « herméneutique », les notions philosophiques, op.cit, p : 59

[22] GEORGIA WARNKE, gadamer herméneutique, op.Cit, p: 133

6. قائمة مصادر البحث ومراجعه:

- عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، لبنان الجزائر، ط1: 2007

- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت1998
- علي حرب، التأويل والحقيقة، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، ط2: 1995
- هانس جورج غادامير، فلسفة التأويل (الأصول. المبادئ. الأهداف)، تر محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، لبنان ط2، 2006
- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط6: 2001.

- HANS GEORG GADAMER, vérité et méthode, les grandes lignes d'une Herméneutique philosophique, éd du seuil, paris 1967
- HANS ROBERT JAUSS, pour une esthétique de la réception, TRAD : l'allemand par CLAUDE MAILLAIRED, ED tel GALLIMARD, paris, 1978
- PAUL RICOEUR, *Le conflit des interprétations : Essais d'herméneutique.* Paris : Éditions du Seuil, 1969.
- Paul RICOEUR, *Du texte à l'action : Essais d'herméneutique II.* Paris : Éditions du Seuil, 1986.
- GEORGIA WARNKE, gadamer herméneutique, tradition et raison, Bruxelles, 1941
- j.GRONDIN, « herméneutique », les notion philosophiques, P.U.F, 1995, tome
- Gadamer : Herméneutique, tradition et raison.Bruxelles : De Boeck Université, 1993